**تفسير الآيات من (74- 83)، الضعف الإنساني في طلب ما عند الله**

بحث فى: علم التفسير

إعداد / *أيمن محمد أبو بكر*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى الضعف الإنساني في طلب ما عند الله**

**الكلمات المفتاحية – الانسانى، النساء، الكفر**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الضعف الإنساني في طلب ما عند الله**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة، والمعنى العام للآيات:**

**ما زلنا مع آيات من سورة النساء في هذه الآيات يبين الله لنا ألوانًا وأصنافًا من الناس، منهم المؤمن المخلص المجاهد في سبيل الله، ومنهم المنافق الذي يُظهر الإيمان ويبطن الكفر وينضوي مع جماعات المسلمين، وربما خالطهم في جهادهم في سبيل الله؛ فأدى اختلاطه بهم إلى ما لا تُحمد عقباه، والله  يكشف أسرار هؤلاء ويبين لنا كيف يكون التعامل معهم، وينصحهم ويرشدهم.**

**كما نرى ألوانًا أيضًا من التعبيرات القرآنية النورانية التي تبين لنا حقيقة ضعف الإنسان، وأن هذا الإنسان وإن كان من أهل الإيمان الخالص إلا أنه ضعيف يعتريه الخوف من الموت، ويعتريه الخوف على رزقه؛ فيحاول -بقدر ما يستطيع- أن ينجو من هذا، ويأتي القرآن ليكشف هذه الحقيقة، ولينصح هؤلاء هذه النصائح الغالية، وهذا هو موضوع درسنا في قول الله تعالى: {ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ} [النساء: 77- 79].**

**ب. صلة الآيات بما قبلها:**

**ولعلنا نستطيع أن نلقي الضوء على هذه الآيات المباركات، وهذه الآيات ترتبط بسابقتها ارتباطًا وثيقًا، كما هو الشأن في كل آيات القرآن الكريم، يفضي بعضها إلى بعض، يرتبط لاحقها بسابقها، وهكذا من أول القرآن إلى نهايته، وهذا لون من ألوان إعجازه -كما ذكرنا ذلك من قبل، فالله  حين ندب المؤمنين ودعاهم وأمرهم أمرًا لازمًا وواجبًا بالجهاد في سبيله، واستثار حميتهم وإيمانهم لاستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وبين أن الهدف بالنسبة لأهل الإيمان الخالص هو إرضاء الله ، وطاعة الله ، وأنهم يقاتلون قومًا لا عقيدة لهم، ولا إيمان لهم، ولا دين لهم، ولكنهم يقاتلون من أجل طواغيتهم، من أجل الشياطين، والله  يأمر المؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء أولياء الشيطان، فيقول: {ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ} [النساء: 76].**

**بعد أن ذكر الله ما ذكر أراد جل وعلا أن يكشف حقيقة الضعف الإنساني عند جماعة من المؤمنين، أو أن يكشف حقيقة المنافقين فقال: {ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} إلى آخر الآيات.**

**د. حال بعض المسلمين لما فرض الجهاد:**

**في قوله تعالى: {ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} هذا سؤال يتوجه إلى رسول الله  أو إلى كل من يليق له الخطاب، كأن الله  يعجب من حال هؤلاء القوم، ومن تناقض أحوالهم، وكيف أنهم كانوا يتحرقون شوقًا إلى أن يؤذن لهم بالقتال، فلما فرض عليهم القتال والجهاد في سبيل الله كان من أمرهم ما ذكره الله  في هذه الآية الكريمة، فما حقيقة هذا الذي حصل؟ بمعنى: أنه مَن هؤلاء الذين قيل لهم: {ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ}؟ ومتى كان ذلك؟**

**يبدو أن هؤلاء إنما هم هؤلاء المؤمنون الذين كانوا في مكة -كما سبق أن ذكرنا- وكان الواحد منهم يأتي والدماء تسيل منه، ويتحرق شوقًا، ويطلب من رسول  أن يؤذن له ولإخوانه برد هذا العدوان، وبأن يؤذن لهم بالقتال لله نصرة لدينه، فكان الرسول  يقول لهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بقتال» فلما هاجر النبي  إلى المدينة، وفرض الله على المسلمين القتال والجهاد رأينا من حال هؤلاء القوم ما جاء في قوله تعالى: {ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ}.**

**ولذلك ترى معي أن هناك قولًا آخر في المراد بمن قيل لهم: {ﮎ ﮏ} وأن هؤلاء هم المنافقون، وما ذلك إلا لأن الآية مشتملة على أمور تدل على أنها مختصة بالمنافقين، فإن قلنا بأن هذا الفريق هم المؤمنون، نقول بأنها عامة في فريق من أهل الإيمان من الذين كانوا مع رسول الله  وأن هؤلاء المؤمنين -على أية حال- يختلفون فيما بينهم في إيمانهم قوة وضعفًا، وشجاعة وجبنًا، والرسول  حين سئل عن المؤمن: «أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم» فلا يتعارض الجبن والخوف من الموت مع إيمان الإنسان المؤمن.**

**فالله  يصور حالة نفسية لفريق من الناس خاف من القتال لما فيه من تأييم النساء، وترك الأطفال، وفقر الأنفس، وما إلى ذلك مما لا يخفي.**

**فهذه هي طبيعة الإنسان: يخاف من الموت، ويخاف من القتل، وهؤلاء كان من أمرهم ما ذكره ربنا: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ} إذن كانت الأمنيات الأولى حين اشتد وقع التعذيب عليهم في مكة أدى بهم هذا إلى أن يقولوا هناك ما قالوا من أن الرسول  يُطلب منه أن يأذن لهم بقتال هؤلاء المشركين، والرسول  يقول لهم: {ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} وما طلبه رسول الله  إنما كان -كما هو معلوم- بوحي من الله  وهو يمثل مرحلة من مراحل هذا الدين في تشريعاته.**

**وهنا نجد في الآية أمورًا ثلاثة: {ﮎ ﮏ} {ﮐ ﮑ} {ﮒ ﮓ}:**

**الأمر الأول: {ﮎ ﮏ} أي: عن قتال المشركين، وهذا معناه: أن الجهاد لم يفرض بعد، والرسول  لا يخترع أمرًا من تلقاء نفسه، إنما يتصرف بوحي من الله .**

**والتعبير عن هذه الحقيقة بقوله: {ﮎ ﮏ} معناه: أن أيدي المؤمنين مبسوطة معدة جاهزة لتنال من هؤلاء المشركين، والرسول  يأتيه الأمر من السماء لهؤلاء بأن يكفوا أيديهم، أي: عليهم ألا يصنعوا شيئًا يؤدي إلى إثارة هؤلاء المشركين عليهم، حتى تنتهي هذه المرحلة ويخرج هؤلاء المسلمون إلى دار هجرتهم؛ ليكون لهم مجتمع، هذا المجتمع له قيادة، وله رئاسة، وله نظام، وبمثل هذه الجماعة المؤمنة التي تمثل قيام دولة ناشئة يستطيع المسلمون أن يخوضوا بها ومن خلالها ما يشاءون من معارك يحققون فيها كل ما يريده الله  لهم من عزة ومن نصر.**

**الأمر الثاني: فهو في قوله: {ﮐ ﮑ} وإقامة الصلاة: أداؤها كاملة الأركان والشروط، ولو أن الناس أقاموا الصلاة لكانت وسيلة تؤدي بهم إلى ألوان من القوة والأمن والسعادة؛ لأن الإقامة -كما تعني: أداء الصلاة كاملة الأركان والشروط والآداب- تعني أيضًا: إقامتها في مواقيتها، وإقامتها في جماعة، ومعنى أن تؤدى الصلاة في جماعة: أنه لا بد لها من مكان لأداء الصلاة، نعم أخبر الرسول : «بأن الله جعل له الأرض مسجدًا وتربتها طهورًا» لكن إقامة الصلاة وأداء الصلاة جماعة إنما تحتاج إلى مسجد، والمسجد يحتاج إلى أمور كثيرة؛ منها: الأئمة، والإعداد، والاستعداد، والفراش، والبناء، والتجهيزات، وكل هذا لا يتم إلا من خلال أمة، ومن خلال دولة، ومن خلال قوة، ومن خلال نظام.**

**الأمر الثالث: عليكم أن تزكوا، وأن تعطوا الزكاة لمن يستحقها، وقلنا: بأن الذي يستحقها ليس هو الذي ذكرته آية سورة براءة: {ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} [التوبة: 60] الآية، إنما من يستحقونها هم من يحتاجون هذه الزكاة، والمسلمون كانوا في هذا الوقت قلة يعرف بعضهم بعضًا، ولا بد من تعاونهم فيما بينهم، وأن يحمل أغنياؤهم فقراءهم؛ حتى يمن الله عليهم بنصره ومدده وعونه.**

**إذن فهذه هي التوجيهات الإلهية في أن الله  بين لنا: بأن هؤلاء قيل لهم لما طلبوا أن يقاتلوا عدوهم، وأن يدفعوا كيد هذا العدو عنهم قيل لهم: {ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} وتبين لنا أن هذا منهج عظيم في تربية هذه الجماعة في مكة؛ فقد رباهم رسول الله  على الصبر حين قال لهم: {ﮎ ﮏ} ورباهم على الإيمان الصادق بطريقة عملية حين قال لهم: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} إقامتهم الصلاة إصلاح لعلاقة الإنسان بالله، وفي قوله: {ﮒ ﮓ} إصلاح لعلاقة الإنسان بالإنسان، وإذا صلحت هذه العلاقة وتلك استوى الإنسان إنسانًا كريمًا عظيمًا قويًّا.**

**هـ. موقف المنافقين مما يحدث للمسلمين:**

**يقول ربنا: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} أي: فرض عليهم الجهاد في سبيل الله، وهنا اختار لنا: {ﮗ} كما نرى هذا التعبير شائعًا في هذه الآيات لأن الأمر هنا ليس أمر جهاد بالمال والكلمة، إنما هذا أمر دخول معركة يحمل فيها المؤمن روحه على كفه، يجود بها لله، وفي سبيله، ومن أجله، وهنا تظهر معادن الرجال، وحقيقة الشجعان، ورجولة هؤلاء الأبطال، فلما كتب عليهم القتال وفرض إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، والتعبير هنا في غاية الدقة والحكمة؛ لأن هؤلاء الذين قيل لهم: {ﮎ ﮏ} التزموا بما وجههم الله إليه، وأن هؤلاء لما فرض الجهاد كان منهم فريق عظيم استجاب لأمر الله، وانضوى تحت راية رسول الله  وحمل سلاحه، وقاتل قتال الأبطال {ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الأحزاب: 23] فهنيئًا لهم، ولكن بقي منهم فريق آخر اعتراه الخوف، واقشعر بدنه، ورأى أنه لو استجاب لأمر الله، وانضوى تحت راية رسول الله  وخرج معه للجهاد فسوف يموت، هكذا تخيل أنه لا بد أن يموت، والموت هو النهاية التي لا بد أن يصل إليها، هكذا تخيل؛ فخاف خوفًا شديدًا، وكما قلنا: بأن هذا الخوف لا يتعارض مع إيمان المؤمن، كما ذكرنا من بيان رسول الله  لمّا سئل عن المؤمن: «أيكون بخيلًا؟ قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن كذّابًا؟ قال: لا» لذا نفهم من قوله تعالى: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ} هذا من أهل الإيمان ليس اعتراضًا على ما كتبه الله على المؤمنين من الجهاد، لكن الخوف هو الذي دعا هؤلاء أن يقولوا هذا الذي نقرؤه في الآية الكريمة**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**